الوسطية الإسلامية لسعادة البشرية

إعداد الباحث

ألفت حلمي أحمد سالم

طالبة دكتوراه بقسم الفلسفة كلية البنات جامعة عين شمس

إشراف

الأستاذة الدكتورة

سهير فضل الله أبو وافية

أستاذ متفرغ بقسم الفلسفة

بكلية البنات جامعة عين شمس

الدكتورة

وفاء سمير علي

مدرس الفلسفة الإسلامية

بكلية البنات

ملخص البحث

مقدمة

يتناول البحث الوسطية وأهميتها في المنهج الإسلامي وإبراز دورها الأساسي والجوهري في الشريعة الإسلامية كلها.

بدأً بتعريف الوسطية بمعانيها المختلفة... ثم تناول البحث الوسطية في العبادات المتعددة حيث هي أساس ترتكز عليه تلك الفروض جميعا وبدونها لا يمكن إعطاء كل فرض حقه إلا من خلال الوسطية والاعتدال...

وقد تم إيضاح التدرج في الاوامر والنواهي المختلفة فنجد ذلك واضحا في الصلاة التي فرضت بالتدريج حتى وصلت لما هي عليه الآن... أما تحريم الخمر فقد مر بعده مراحل مراعية لنفوس الناس وعاداتهم، ولأن الأخلاق هي لب الدين وغايته.. فقد حاولت إيضاح جوانب الوسطية في بعض الأخلاق الإسلامية فتناولت خلق التواضع وكيف أنه مرحلة وسط بين الكبر والذل... وأن المؤمن عليه أن يعتد بنفسه في غير تكبر... وأن يتواضع في غير خضوع....

وكذلك تناولت خلق الكرم والسخاء وكيف يكون المؤمن وسطا بين التبذير والتقتير.

وبهذا يتضح لدينا أن الوسطية تكتنف كل جوانب المنهج الإسلامي من حيث العبادات، والمعاملات والأخلاق، حيث هي الميزان العادل الذي يحقق السعادة في الحياة من خلال الوسطية التي يقوم عليها المنهج الحق.

الوسطية الإسلامية لسعادة البشرية

لقد كان من حكمة الحق سبحانه وتعالى أن جعل الوسطية سمة مميزة للأمة الإسلامية والرسالة المحمدية الخاتمة لجميع الرسالات السابقة، فإن الوسطية تعتبر نقطة الارتكاز التي تحقق التوازن في المنهج الإسلامي والشريعة الإسلامية مصداقا لقوله سبحانه وتعالى: **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**(١).

فإن الوسطية هي (مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين وإقامة الحجة عليهم) (٢).

حيث هي ميزان تزن الأمور بها بلا زيادة ولا نقصان ولكن تقاس بالتوازن والتعادل... والوسطية التي تتضح من خلال المنهج القرآني الوسط في كل شيء... وسطية في العقيدة، في التشريع، في الأخلاق حيث (لا إفراط ولا تفريط) في مختلف جوانب النسق الإسلامي برمته، فإن الوسطية منهج يتناسب مع رسالة خالدة تصلح للبشرية، في كل زمان ومكان، فإنه من الممكن لرسالة مرحلية محدودة الإيطار والزمن أن تعالج مظاهر الغلو في قضية ما يغلو مضاد، فإذا وجدنا إفراط في الدعوة إلي المثالية، قابلها تفريط في الدعوة إلي الواقعية، وإذا كان هناك مبالغة في النزعة إلى الروحية رُد عليها بمبالغة في النزعة المادية فإذا قامت الدعوة المرحلية بدورها وحدت من هذا الغلو كان التعادل والاستقامة هي القانون السائد الذي يحقق التوازن في الحياة، والذي يبغاه كل مسلم ويسعي إليه وقد كان هذا داعيا لأن يحاول كل من الفلاسفة والأئمة على حد سواء تعريف الوسطية وإيضاح معانيها المختلفة.

معني الوسطية في اللغة

مادة (وسط) تدل على معان قريبة المعني...يقول ابن فارس (الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء أوسطه ووسطه) (٣).

ونقل ابن منظور في لسان العرب أن أعرابياً قال: (علمني دينا وسوطا لا ذهباً فروطا ولا ساقطاً فإن الوسط ههنا المتوسط بين الغالي والتالي)(٤).

وتأتي كذلك كلمة وسط بمعان متعددة مثل كلمة (الوسيط أي المتوسط بين المتخاصمين)(٥).

(والتوسط) بين (الناس من الوساطة) (٦) وكذلك التوسيط أي تجعل الشيء في الوسط(٧).

وكذلك التوسط قطع الشيء نصفين متساويين بالعدل وسط الشمس أي (توسطيها في السماء) (٨).

---

(١) سورة البقرة – أية ١٤٣.

(٢) د/ محمد عبد اللطيف الفرفور – دار النفائس بيروت – الوسطية في الإسلام - ط١- ١٩٩٣م- ص ٢٩

(٣) معجم مقايس اللغة – كتاب الواو- (باب الواو والسين) (٦/ ١٠٨).

(٤) لسان العرب – فصل الواو (باب وسط) (٧-٤٣٠).

(٥) القاموس المحيط باب الطاء / فصل الواو (٨٩٤)، الحديث/ تفسير ابن كثير/ جـ١/ صـ١٩٠/ ط الحلبي.

(٦) الصحاح ٣/ ١١٦٧.

(٧) نفس المصدر – نفس الصفحة.

(٨) لسان العرب – فصل الواو (باب وسط) (٧/ ٤٢٩).

(وكيفما تصرفت هذه اللفظة تجدها لا تخرج معناها عن معاني العدل، والفضل، والخيرية، والنصف، والبينية والمتوسط بين الطرفين)[٩].

وهي تعبر عن المرونة والتكيف والتدرج، وهذا ما نحتاجه في واقعنا المعاصر ليسهل علينا تطبيق الدين في الحياة، ولذلك كان الاهتمام بالوسطية في الإسلام عقيدة وشريعته فإن (التفريط في الدين والتقصير في أحكامه يشوه الدين الحق الذي أنزله الله تعالي نوراً وضياء ساطعا ومصباحا منيرا ليرشد الناس إلي الخير، ويؤمن لهم السعادة ويحقق لهم مصالحهم الكاملة لأن الشريعة تحقق هذه الأهداف بمجموع أحكامها، ولذا يجب أن تؤخذ كاملة رجاء الانتفاع بها، والحصول على ثمراتها ومقاصدها وفوائدها)[١٠] وهذا واضح في آيات القرآن البينات التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ومن خلفها فيقول الدكتور محمد يوسف موسي (إن القرآن والحديث قد اعتمد نظرة الوسط كمعيار للفضيلة) [١١].

وقد فسر معني أمة وسطا في الآية الكريمة **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}**[١٢].

بأنه دلالة على أمة، تحكم به، وتقوم عليه وتؤكده في الأمة بأكملها فإنه (تفسير الوسط في الآية بالعدل مروى عن النبي (ص)... فقد روى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الوسط هنا بالعدل)[١٣].

فقد أمر به سبحانه وأقام منهاج الأمة الإسلامية عليه وقال المفسرون في قوله تعالي: **{قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ}**[١٤].

(أي أعدلهم)[١٥]. ويؤكد الفخر الرازي (أن أعدل بقاع الشيء وسطه لأن حكمه مع سائر أطرافه على سواء... وعلى اعتدال)[١٦].

والاعتدال والوسطية ركن أساس في مفهوم الدين.. فهو كمركز الدائرة تدور حولها فروع الدين واتجاهاته المختلفة، ثم استعير هذا المفهوم لوصف الخصال البشرية المتعددة لتصبح الخلال الإنسانية أو ساطا بين الخلال الذميمة والخلال الحميدة بعيدة عن كل من جانبي الإفراط والتفريط، بل ترتكز على التوازن والتعادل، دون المغالاة في خصلة على أخري، فالمسلم متكامل الخصال، متعادل الشيم، مستقيم نهجه.

وقد تأتي بمعني أفضل وأجود فأوسط الشيء في الغالب أفضله مثل واسطة القلادة.

---

(٩) محمد على الصلابي – الوسطية في القرآن الكريم ص ١٤- مؤسسة اقرأ طبعة أولي ٢٠٠٧م-القاهرة.

(١٠) أسماء مصطفي إبراهيم – مبدأ الوسطية في الدين ص ١٢- ٢٠١١- ٢٠١٢ – إشراف د/ سهير فضل الله –كلية البنات - جامعة عين شمس.

(١١) د/ محمد يوسف موسي / فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة اليونانية ط ٣ ص ٢٧، ٢٨.

(١٢) سورة البقرة أية ١٤٣.

(١٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٠ – ط- الحلبي.

(١٤) سورة القلم – أية ٢٨.

(١٥) تفسير الفخر الرازي ص ١٠٨-١٠٩.

(١٦) تفسير أبو السعود ط ١ ص ١٢٣- ط/ صبيح.

أ- فنقول (الجوهر الذي وسطها هو أجودها)[١٧]. وتقول كذلك (رجل وسط ووسيط، حسن)[١٨].
ب- قد تأتي إسما لما بين طرفي الشيء فنقول (قبضت وسط الحبل وكسرت وسط القوس، وجلست وسط الدار) [١٩].
ج- وقد تأتي بمعني (عدل) فإن أعدل الشيء أوسطه، وفي لسان العرب (وسط الشيء، وأوسطه، أعدله) [٢٠].
د- وقد تأتي بمعني الشيء بين الجيد والردي) [٢١].

ويقال كذلك (شيء وسط، أي بين الجيد والرديء) [٢٢].

وإذا كانت الوسطية تعني العدل فيجب على الإنسان أن يتعامل مع واقعه بالعدل ولا يضع نفسه في موقع المسئولية التي يطالب فيها بتطبيق العدل وهو لا يستطيع.

فيظلم نفسه ويظلم الآخرين ... وبالعدل يدرك قدرته فلا يتجنى على غيره ولا يحمل نفسه ما لا يطيق حيث يقول سبحانه وتعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا }[٢٣].

فقد أمرنا الله أن نحكم بين الناس بالعدل حتى تستقيم النفوس وتتألف، ويتمكن الإنسان من تطبيق الأمانة التي كلفه الله بها، والإنسان لا بد أن يقاوم نفسه ليحقق العدل فإن ابن القيم يرى أن الإنسان كائن متوازن مكون من مادة وروح، المادة لها احتياجات ورغبات تجنح إليها، أما الروح فلها مبادئ وقيم إما تسمو بها أو تدنو بدونها والعدل بين المادية والروحية هو الذي يحقق الفلاح والنجاح في الحياة.

فإن الناس تختلف من إنسان لآخر، فمنهم من تغلب عليه المادية في رغباته، فلا يلتفت إلا لنفسه وما تريد فينحرف فكره ويميل عن الحق، فيظلم غيره، ولكن الله أمرنا بالعدل مع الخلق، بل إنه سبحانه حرم الظلم، حتى على نفسه، فكيف تنتظر الفلاح والصلاح وأنت تظلم الآخرين ... فلا بد أن تقاوم نفسك وتجاهدها حتى تكون ممن تغلب عليهم القيم الروحية فتسموا نفسك وقد تعلو فوق الملائكة، وبدلا من أن نظلم غيرك تكون ممن خلقهم الله لحوائج الناس وتكون من الأمنين من عذاب الله يوم القيامة.

إن الله يأمرنا بالعدل ولم يطلبه فقط، أو أعلمنا به فقط، بل إن الله أمرنا به وهذا لما للعدل من مكانه بين القيم المختلفة فهو أساس لها لإصلاح الأنفس والشعوب. وإذا أردت معرفة ميزان العدل في الشريعة الإسلامية عليك بالعلم والفهم للدين فقد قال سبحانه وتعالى { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }.

---

(١٧) أنظر الصحاح (٣/ ١١٦٧).

(١٨) لسان العرب فصل – الواو – باب وسط (٧/ ٤٣٠).

(١٩) لسان العرب (٧/ ٤٢٧).

(٢٠) المصدر السابق (٧/ ٤٣٠).

(٢١) د/ على محمد الصلابي / الوسطية في القرآن الكريم ص ١٤ – مؤسسة اقرأ –ط أولي – ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(٢٢) الصحاح (٣/ ١١٦٧).

(٢٣) سورة النساء / أية ٥٨.

من هنا قد أكد ابن القيم، على أهمية العلم فإن الإنسان إذا علم دينيه جيدا علم أوامره ونواهيه وعندما يتفقه فيه يعرف حدوده، وكيف أنه الدين الذي فطرت عليه النفس الإنسانية موافقا لطبيعتها متسقا مع ملكاتها لكان بعلمه هذا ميسرا علي نفسه أي شقاء وعناء وعنت كان من الممكن أن يمر به فإنه (بالعلم يعلم الإنسان ما يضره ليجتنبه وما ينفعه ليحرص عليه ويفعله، فيجب النافع ويبغض الضار، على أن يكون محبته وكراهته موافقين لمحبه الله تعالى وكراهته)[٢٤].

والعلم هو النور الهادي لنا، والفهم لمنهج الله بجعلنا نقبل أقدارنا وتفلسف مصائبنا وربما نفهم بعضا من حكمه المولى سبحانه وتعالى لذلك فإن الإنسان حين يعرف ربه تمتلئ نفسه رضا وفهما، فيقبل على المنهج بحب واقتناع يملأن جوانب نفسه لما في المنهج من توازن ووسطية وليس إلا في المنهج الإسلامي والتشريع الإسلامي حيث المنهج المتسق مع الفطرة الإنسانية وطبيعتها .. المعتدل في شريعته، المتوازن في فروضه (والتشريع الإسلامي في كل مراحله وأطواره وفي جميع وسائله واتجاهاته إنما يهدف إلي الإصلاح الخلقي والنفسي والفكري)[٢٥].

وذلك من خلال تناسق المنهج بطبعته المتوازنة مع الفطرة الإنسانية مما يجعل الفرد سعيدا في مجتمعه وبين أهله (ويصير بالجملة غير مذموم)[٢٦].

بل محبوب وقريب من الناس يألف ويؤلف فينعم بالسعادة والحب بين أفراد المجتمع بما يتمتع بالتوازن في كل جوانب حياته ... فمن حيث

(٢٤) ابن القيم – إغاثة اللهفان ج ٢ – ١٣٧.

(٢٥) د/ محمد عبد الله دراز – نظرات في الإسلام ص ١٢.

(٢٦) السهوامل والشوامل ص ٤٨.

العبادات

نجد الوسطية أساس ثابت في كل فرع من فروع العبادات، والعبادة عند ابن تيمية (ت: هـ) تجتمع في أصلين يتمثلان في (غاية الحب بغاية الذل والخضوع)[٢٧].

أما ابن القيم فيرى أن (العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة) [٢٨].

وهو تعريف جامع يجمع كل نشاطات الإنسان في الحياة من معاملات حياتية واقعية أعتاد على فعلها الإنسان وكذلك تشتمل على العبادات المختلفة فنجد الصلاة من العبادات التي تعد من أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى.

الصلاة:

فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله.. ليس أحب لله أكثر من الصلاة على وقتها.. ورغم ذلك فإن الصلاة على أهميتها بكونها عماد الدين إلا أنها لها وقت محدد ثم تنتهى حيث تأخذ المسلم للخلوة مع الله سبحانه وتعالى حيث تشحن المؤمن بطاقة إيمانية تمكنه من القيام بحياته وبأداء الأمانة المنوط بها، ولكن لم تغالى الشريعة فيها، ولم تطلب من المؤمن أن يصلى طوال يومه... فهذا غلو لا خير فيه... لذلك فالصلاة لها وقت محدد تقام فيه ثم يذهب المؤمن لدنياه يبتاع ويشترى ويقوم على رزقه بنية العبادة والسعي، وسورة الجمعة في القرآن أصدق دليل على ذلك حيث يقول سبحانه وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [٢٩].

إن المنهج الإسلامي (يحث على العمل والسعي والكسب الدنيوي، كما أنه لا يطلب من المسلم أن ينقطع للعبادة وهذا فرق أساس بين أخلاق الإسلام والأخلاق المسيحية) [٣٠].

التي اعتمدت على مبدأ أساس وهو (لا تقدرون على أن تخدموا الله والمال) [٣١].

على الرغم من أن المال في الإسلام يمكن أن يكون أقوى وأقرب طريق للقرب من الله سبحانه وتعالى ... وذلك بالتصدق به، وبذله في سبيل الله ومساعده المحتاج، وإعطاء الزكاة للفقراء، فيصل المؤمن للآخرة من خلال الدنيا وهذا هو نهج الإسلام.

ولذلك نجد الإسلام يدعو لسعادة الدارين في توسط واعتدال لا يجور جانب على آخر ولا يطغي أحدا على أحد، ويؤكد القرآن الكريم الدعوة لسعادة الدارين فيقول تعالي {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [٣٢].

أما الصوم

---

(٢٧) ابن القيم / مدراج السالكين ج ١ ص ٧٤.

(٢٨) شيخ الإسلام ابن تيمية / مجموع الفتاوى ج ١ - ص ١٥٠.

(٢٩) سورة الجمعة أية ٩/ ١٠.

(٣٠) د/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم / الفضائل الخلقية في الإسلام ص٢٦٠ / دار الوفاء.

(٣١) انجيل لوقا –إصحاح ٦/ ٢٣.

(٣٢) سورة البقرة أية ٢٠٠، ٢٠١.

وهو ركن الإسلام الثالث فقد راعى المولى سبحانه وتعالى بشرية الإنسان ورغباته، فكان تشريع الصوم نهارا فقط، ولك الحرية بعد ذلك أن تأخذ ما أحل الله لك... وكذلك هو شهر واحد في العام فقد تزودت عاما كاملا من زاد الدنيا... ولكن هذا الشهر تتزود من التقوى، والزهد، والبعد عن هذه الدنيا التي تعمرها لا حبا فيها ولكن أداءً لأمانة أؤتمنت عليها، ولكي تحقق هذا الهدف كان التشريع وسطيا يحتويك بكل أفكارك ونوازعك فهو منهج من لدن حكيم عليم يقول تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }[٣٣].

لذلك من وسطية المنهج مراعاة المريض والمسافر فأباح لهم مساحة من الوسطية ليصوموا في أيام أخر فإذا شق الصوم على المسافر أو المريض (فله أن يفطر حتى تزول تلك الحالة، فإذا أفطر فعليه عدة ما أفطره في السفر أو المرض من الأيام) [٣٤]. ولأن هذا المريض قد يكون مسكينا أو فقرأ فترفق به الله سبحانه وتعالى وفرض ..

الزكاة:

حيث إن (الزكاة تؤلف القلوب وتقرب المؤمنين من بعضهم، فهي بمثابة العمود الفقري للدين الإسلامي ومرتكز النظام المالي حيث إنها تقيم دعائم التعاون بين المسلمين وتعالج مشكلة الفقر والحاجة لأنها تقيم قيم التعاون والولاء بين من يعول ومن يعال، كما أنها رياضة للنفس على البذل والتضحية بالمال العزيز على النفوس، لتعودها على السماح والإيثار وتلقي في روعها أنها مسئولة عن غيرها فتشعر بتكامل الجماعة) [٣٥].

وقد فرضت الزكاة بوسطية من لدن حكيم عليم..

حكيم في فرضه، وعليم بمن خلق.. من نفوس تحب المال وتفضله على كل شيء... لذلك لم تفرض الزكاة فتأخذ من صاحب المال كل ماله... وتتركه يلهث في الدنيا، وكذلك لم تتركه يتمتع بكل ماله الوفير وغيره لا يجد ما يكفي قوت يومه... بل فرضت بوسطيه محكمه وبقدر محدد ليفوز المؤمن بخيرى الدنيا والآخرة يقول سبحانه وتعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ}[٣٦].

ولماذا يحزنون وقد أعطوا كل ذي حق حقه من أموالهم، ولم يبخلوا على أحد.. وأدوا ما فرض الله عليهم من حقوق للمجتمع فإن الزكاة تحقق التوازن بين الفرد والمجتمع في مراعاة سمحه رحيمة.. أما

الحج:

ركن الإسلام الأعظم فقد فرض مرة واحدة في العمر لمن استطاع... لمن يقدر فقط يقول تعالى {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }[٣٧].

---

(٣٣) سورة البقرة أية ١٨٣-١٨٤م.

(٣٤) ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ص ٢١٦.

(٣٥) د/ وفاء سمير على / القيم الأخلاقية ومشكلاتها في الفكر الفلسفي ص ٧٢.

(٣٦) سورة البقرة أية ٢٧٧.

(٣٧) سورة آل عمران أية ٩٦- ٩٧.

أي أنه من ال (لازم على المستطيع حج البيت العتيق) [٣٨].

فقد (اجتمعت الأمة على وجوب الحج كما أنه ركن من أركان الإسلام الخمسة وقد فرضه الله تعالي على المستطيع في العمر مرة واحدة) [٣٩].

أما من لا يستطيع ومن لا يملك المال فهناك أبواب كثيرة في الإسلام تستطيع بها أن تحج فقد قال صلى الله عليه وسلم (من صلي الغداه في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجه وعمره، تامه .. تامه .. تامة) أليست هذه سماحة ورحمه ووسطية ومراعاة للنفس الإنسانية حيث أن وسطية الإسلام جعلت غير القادر على الحج أن يأخذ أجر حجة تامة كاملة، وهو لم يقدر على القيام بفعل الحج .. اليس هذا دين سمح يركن إلى الوسطية في فروضه وشرائعه فإن الشريعة الإسلامية تهتم بسعادة المؤمن وإنسانيته فإن (السعادة الآخروية يجب أن تكون الغاية النهائية للعبادة والفضيلة وكل عمل يتصور أن يقوم به المسلم ... لكن أخذ المسلم بنصية من السعادة الدنيوية لا يتناقض مع تلك الغاية، ولكنه شرط مهم لبلوغها .. والشرط المهم الآخر هو عدم الاستغراق في العمل للسعادة الدنيوية ثم نسيان العبادة والعمل الخلقي نتيجة لذلك) [٤٠].

بل الجمع بينهما في حكمه لا تصدر إلا من لدن حكيم خبير بصر بعباده خبير بقدرتهم التي لا تحتمل إلا منهجا وسطيا يؤثر في حياة المؤمن وأخرته بتوازن عقلي منطقي لا يوجد إلا في شريعتنا الإسلامية الغراء وقد كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي الي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، وأجعل الحياة زيادة لي في كل خير وأجعل الموت راحة لي من كل شر) [٤١]. فما تلك الوسطية التي يحتويها دعاء صلى الله عليه وسلم وتكتنف جوانب الدين وتحتويه ..

(٣٨) العلامة/ الصابوني / صفوت التفاسير ج ١ –ص ٢١٨.

(٣٩) رواه الترمذي عن أبي ظلال عن أنس ابن مالك (٥٨٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

(٤٠) د/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم/ الفضائل الخلقية في الإسلام ص ٢٦١- ٢٦٢.

(٤١) رواه مسلم في الذكر – والدعاء – والتوبة – والاستغفار– كتاب - باب رقم ٢٧٢٠.

سنه التدرج في المنهج الإسلامي وصلتها بالوسطية

تتضح عظمة الدين الإسلامي ووسطيته وتيسيره على الخلق في سننه الواضحة في التدرج والتحريم والإباحة، فإنه سبحانه وتعالى لم يأخذ الخلق من الجاهلية إلي الإيمان، من الظلام الدامس إلي النور المشع دفعة واحدة، وبصورة فجائية ولكنه توسط في الأمر وتدرج سبحانه وتعالى في فرض الفروض على خلقه (فنجد حين فرضت الفرائض كالصلاة، والصيام، والزكاة، فرضها على مراحل ودرجات حتى انتهت إلى الصورة الأخيرة) (٤٢).

التي وصلت إلينا فقد فرضت الصلاة في بداية الأمر ركعتين ركعتين ، ثم فرضت في السفر على هذا النحو كذلك للتخفيف على الخلق، وتيسرا لهم في السفر ومراعاة المشقة، ثم زيدت الركعات إلى أربع وهي الظهر والعصر والعشاء وهذا لمراعاة تعود الناس عليها، وكونها خمس مرات متكررة فيحب العبد لقاء الله في ركعتين خفيفتين... ثم عندما تزاد تكون قد حببت للنفس وتحللت القلب فهي المخرج للإنسان من هموم الدنيا .. لرحمة الرحمن الرحيم..

الصوم فرض أول ما فرض اختيارا فمن شاء صام ... ومن لم يصم يفدى فيقول تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُون }(٤٣).

وتتضح سنة التدرج في تحريم الخمر، وقد مرت بثلاث مراحل معروفة، وقد حرمها الله سبحانه وتعالى بطريق يتماشى مع النفس الإنسانية ورغباتها واحتياجاتها وعاداتها وما ألفت عليه فكانت أول الآيات التي أنزلت في الخمر { يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا }(٤٤).

لقد كان تناول الخمر من العادات الموروثة النشأة فمن الصعب حجبها عن النفس مرة واحدة أو فجأة .. لذلك جاءت الخطوة الثانية في كتاب الله الرحيم بخلقه يقول سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ}(٤٥).

(والصلاة في خمس أوقات معظمها متقاربة ولا يكفي ما بينها للسكر والإفاقة)(٤٦).

بل إنه لن يكون واعيا لمعني الصلاة وفحواها... وهنا يحاول المؤمن أن يطيل وقت إفاقته حتى يستطيع الصلاة فيبتعد عن عادة شرب الخمر بالتدرج وفي هذا تضيق الفرض المزاولة العملية لعادة الشرب وكسر لحدة التعود على تناولها باستمرار، مما يسهل عليه تركها والبعد عنها إن العقيدة السليمة هي تلك العقيدة التي تراعي الإعداد النفسي والفكري والأخلاقي والاجتماعي للأفراد لذلك كانت حكمه الله في التحريم والإباحة هي (التدرج في التحريم، والانتقال من التعريض والتلويح إلي النص الصريح، ومن النهي الجزائي إلي النهي الكلي الحاسم) (٤٧).

---

(٤٢) د/ محمد على الصلابي – الوسطية في القرآن الكريم ص ٤٨٨.

(٤٣) سورة البقرة أية ١٨٤.

(٤٤) سورة البقرة أية ٩٩.

(٤٥) سورة النساء أية ٤٣.

(٤٦) د/ محمد على الصلابي –الوسطية في القرآن الكريم ص ٢٨٩.

(٤٧) د/ محمد أبو شهبه –حلول لمشكلة الربا ص ٢٨.

وهذه هي قمة الوسطية حيث أنها سنه تسير في المنهج الإسلامي برمته (فالتدرج في التحريم وسط بين التحريم الفوري الذي لا ينسجم مع نفوس الناس وفطرتهم وما اعتادوا عليه من فساد وحرام لا يليق بالبشر السوي) (٤٨).

فلا بد من الاعتدال والتوازن والسير على الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه ولا مغالاة يقول صلى الله عليه وسلم، عن سفيان ابن عبد الله قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل أحدا غيرك قال صلى الله عليه وسلم (قل أمنت بالله ثم استقم) (٤٩).

فلا تنحرف يمينا محاباة لقلبك ولنفسك وهواك، ولا تنحرف شمالا لدنيا أو متاع، ولكن عليك بالاستقامة، التي نسأل الله أن يهدينا إليها في اليوم ما لا يقل عن سبع عشر مرة في صلواتنا....

فقد قرأ الرسول الكريم قول الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}.

وقال قد قالها ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام(٥٠). اللهم اجعلنا ممن استقام عليها.

حتى تكون ممن استجاب لكلام النبي صلى الله عليه وسلم فقد أمرنا بالاستقامة أي التوازن والاعتدال فلا تميل هنا ولا تجنح هناك، ولكن علينا بالتوسط في الأمر واتخاذ الوسطية سبيلا نحتذي به حتى نصل إلى الصراط المستقيم الذي يصل بنا إلي طريق الحق سبحانه.. لذلك يجب أن تكون الاستقامة في كل جوانب الحياة في أفكارنا، وسلوكنا مع النفس، ومع الخلق وذلك من خلال أخلاق الإسلام التي تتميز بالتعادل والتوسط والاستقامة (فلقد عني الإسلام بالنفس الإنسانية، وحرص على تعليم الأخلاق للبشرية عامة فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم البشرية ويصلح الإنسانية بالأخلاق، وقد توجه الإسلام بتعاليمه الأخلاقية إلى الإنسان، ولم يكن يريد من الإنسان جماعة معينة، وإنما يريد كل إنسان يتمتع بصفات الإنسانية)(٥١).

إن الأخلاق الإسلامية هي روح الإسلام وجوهره حيث تسرى في جميع جوانبه وفروعه حتى أن هدف الرسالة المحمدية هو الأخلاق فيقول صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (٥٢).

ومكارم الأخلاق في اعتدالها واستوائها وتوازنها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خلقا وأرجحهم عقلا وأنقاهم سريره، تحلي بأكمل الأخلاق وأرقي الصفات وأسمى الشيم ليكون أسوة لنا نتأسى ونسير على هداه وتتخلي بأخلاقه.

---

(٤٨) د/ محمد على الصلابي – الوسطية في القرآن الكريم ص٤٩٢.

(٤٩) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان –باب جامع أوصاف الإسلام (٦٥/١).

(٥٠) رواه الترمذي في كتاب التفسير باب سورة حم السجدة (٥/ ٣٥١) رقم (٣٢٥٠) وضعفه الألباني (٤٠٧٩).

(٥١) د/ سامي عفيفي حجازي/ العقيدة والأخلاق في الإسلام ص ١٨٨ – مكتبة الايمان – القاهرة – ٢٠٠٦م.

(٥٢) مسند الإمام أحمد ج ٢- ص ١٨١-سنن البيهقي ج ١٠ – كتاب الشهادات ص ١٩٢.

أخلاق ترتكز على الوسطية

خلق التواضع

يقول سبحانه وتعالى { وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }(٥٣).

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الناس عزا بدنيه ورسالته، يقود الناس جميعا، قريب للقلوب بطيب خصاله وشيمه قائلا (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) (٥٤).

وكذلك قال (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) (٥٥)، فإن (آفة الكبر عظيمة، وفيه يهلك الخواص، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء وكيف لا تعظم أفته وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يدخل الجنة من كان في قبله ذره من كبر)(٥٦).

فقد أصبح الكبر حجاباً بينه وبين الجنة لأنه يكون حجر عثرة في علاقته بالمؤمن، فإنه لن يكون قريبا من أحد فإنه لا يحب الخير لأي منهم، وكيف يحب لهم ذلك وهو يتكبر عليهم (كما أنه يأنف عن قبول الحق ويتشمر لجحده)(٥٧).

وهذا يصل به إلي الحقد عليهم والحسد لما في أيديهم وهذا يؤدي لا محاله به إلى احتقارهم واستعظام نفسه عليهم، وذلك أيضا يدعو إلي التكبر على أمر الله تعالى، كما حمل إبليس كبره على آدم عليه السلام أن امتنع عن امتثال أمر ربه في السجود)(٥٨).

فقد كان هذا الكبر سببا في مذلة إبليس عمر الدنيا كلها، فكيف بالكبر عن الناس، فيقول تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا}(٥٩).

فإن (المسلم يتواضع في غير مذلة ولا مهانة، والتواضع من أخلاقة المثالية، وصفاته العالية، كما أن الكبر ليس له، ولا ينبغي لمثله، إذا المسلم يتواضع ليرتفع ولا يتكبر لألا يخفض، إذ سنه الله جارية في رفع المتواضعين له، ووضع المتكبرين) (٦٠).

فإن الله يرفع المتواضعين ويخفض ويذل المتكبرين (والمسلم عندما يصغى بأذنه وقلبه إلي مثل هذه الأخبار الصادقة من كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الثناء على المتواضعين مرة وذم المتكبرين أخرى، وطورا في الأمر بالتواضع، وأخرى في النهي عن الكبر كيف لا يتواضع ولا يكون التواضع خلقا له وكيف لا يمقت الكبر والمتكبرين) (٦١).

---

(٥٣) سورة لقمان ١٨.

(٥٤) صحيح مسلم – كتاب - باب استحباب العفو والتواضع ح (٢٥٨٨).

(٥٥) رواه البخاري - كتاب المناقب – باب صفة النبي ح (٣٣٦٩) ومسلم في صحيحه – كتاب الفضائل.

(٥٦) ابن قدامة المقدسي – منهاج القاصدين – ص ٢٨٨ – دار البيان –دمشق– ١٩٧٨م.

(٥٧) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٥٨) نفس المصدر/ نفس الصفحة.

(٥٩) سورة النساء أية ١٧٣.

(٦٠) الشيخ أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم ص ١٣٧ –دار السلام ط ٤ – ١٩٦٤ –المدينة المنورة.

(٦١) الشيخ أبو بكر الجزائري / منهاج المسلم ص ١٣٧-دار السلام – ط ٤- ١٩٦٤م المدينة المنورة.

فالمسلم لا مذل مهان ولا متغطرس متكبر هو في مرحلة وسط بين الجانبين يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }(٦٢).

فالمؤمن يحب المؤمنين ويتودد إليهم، ليس في ذله ولا مهانه وإنما في تواد ورحمه، أما مع الكافرين فهو عزيز النفس معتد بنفسه مقدرا لذاته (يحرص أن يعرف الناس معرفة نقدية موضوعية. ولذلك يجتهد للوقوف على نواحي امتيازهم.

وقبل أن يقومهم يفترض أنه يجهل الكثير من مواهبهم وفضائلهم .. ومن جهة أخرى هو يحذر الهوى والمبالغة عند تقوم نفسه) (٦٣).

ولقد بينت السنة النبوية المظاهر العلمية التي تثبت التواضع وتؤكد التبرأ من الكبر وترفضه فيقول (ص) (ألا أخبركم بأهل النار كل عتل حواظ مستكبر) (٦٤). متعالى على الخلق، جاحد بنعم الحق مغتر بنفسه على ضعفه.

وقال النعمان بن بشير على المنبر (إن للشيطان مصائدا وفخوخا، وإن مصائد الشيطان وفخوخه، البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله، والكبر على عباد الله، واتباع الهوى في غير ذات الله)(٦٥).

وهؤلاء هم الذين يصرفون عن ذكر الله والقرب منه... فيقول تعالى **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّيُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَيَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ}**(٦٦).

التواضع فهو (تقويم موضعي للنفس إرضاء لطرف آخر وإظهارا لتفوقه، فالذلة ضد التواضع ولا يجب أن تختلط به ومن الخطأ الزعم أن التواضع هو الضعة)(٦٧).

أما المؤمن فإنه من خلال الوسطية في الخلق يستطيع أن يدخل الجنة ويبتعد مسافة كبيرة عن النار فإنه لم يغالي في تواضعه وذل نفسه، ولم يكابّر بنفسه وذل غيره، فقد قال صلى الله عليه وسلم (ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحدا إلا رفعه) (٦٨).

وإذا كان خلق التواضع من الأخلاق التي اتسمت بالوسطية فإنه هناك العديد من الأخلاق التي لا تكتمل ولا تتضح وتتبلور إلا من خلال الوسطية... ومن تلك الأخلاق.

الكرم والسخاء

---

(٦٢) سورة المائدة أية ٥٤.

(٦٣) حمد عبد الرحمن إبراهيم / الفضائل الخلقية في الإسلام –دار الوفا ط أولي ١٩٨٩م- ص ٢٣٥.

(٦٤) رواه مسلم / كتاب الجنة (٤٦، ٤٧) والإمام أحمد (٣-١٤٥).

(٦٥) أبي حامد الغزالي / مكاشفة القلوب في حضره علام الغيوب – دار الكتب العلمية – ط أولي ١٩٩٦- ص ١٥٥.

(٦٦) سورة الأعراف أية ١٤٦.

(٦٧) رواه مسلم (٦٩) كتاب البر والصلة.

(٦٨) د/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم – الفضائل الخلقية في الإسلام –دار الوفاء – ط أولي ١٩٨٩ ص ٢٣٦.- القاهرة

إن السخاء خلق المسلم والكرم شيمته والمسلم لا يكون شحيحا ولا بخيلا، إذ الشح والبخل خلقان ذميمان منشؤهما خبث النفس وظلمه القلب... والمسلم بإيمانه وعمله الصالح نفسه طاهره وقلبه مشرق فيتنافى مع طهارة نفسه، وإشراق قلبه...

وصف الشح والبخل، فلا يكون المسلم شحيحا ولا بخيلا) [٦٩].

فقد قال صلى الله عليه وسلم (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق) [٧٠].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجبن والبخل.

فإن الشح يرتبط بالإيمان، فإن الإنسان إذا يتقن في قلبه أن الرازق هو الله سبحانه وتعالى وأنه هو المعطي وهو الوهاب لكان المال سهلا هنيا على النفوس، ويعلم الإنسان ويوقن أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب فيعطى ويغدق على الفقراء والمحتاجين والمساكين فقد صلى الله عليه وسلم (ما من يوم يصبح البعاد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعطى منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا)[٧١].

فإن المسلم كما لا ينبغي له أن يكون مضياعاً للمال في موضعه فقد (صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان أجود بالخير من الريح المرسلة وأنه ما سئل شيئا قط فقال لا)[٧٢].

فقد كان يعطي عطاء من لا يخاف فقراً ولا قحط... لذلك اقتداء برسولنا الكريم على المؤمن أن يوقن في رزق الله .. فقد كتب الله على نفسه الرزق.

ويقول تعالي { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ}[٧٣].

والجود والكرم والسخاء يجعل الإنسان قريباً من الخلق حبيباً إلى النفس على تنوعها واختلافها كل النفوس الفقير والغني، الضعيف والقوى، والخلق جميعا هم طريق إلى الله يعبده بانفاق المال الذي استخلفنا فيه من الغني عز وجل فهو ليس ملكنا ولهم نهيه لأنفسنا يقول تعالى **{آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}**[٧٤].

فنحن فقط مستخلفين فيه ولذلك ليس لنا أي فضل أنه لدينا ولكن هذا انعام من الخالق علينا لتكون ممن يتصفون باليد العليا... لتعطي لليد السفلي نعطيه مما ليس ملكنا ثم... نأخذ ثواب عظيم على هذا العطاء. فهل هناك كرم من العزيز الغني أكبر من هذا... فهو غني عنا جميعاً.. يعطينا ليغدق علينا من حسناته ويهدينا كي ينزل علينا رحماته، يقول صلى الله عليه وسلم (إن الله جواد يحب الجود ويحب مكارم الأخلاق ويكره سفاسفها)[٧٥]. ومكارم الأخلاق لن تكون إلا إذا

---

(٦٩) أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم ص ١٣٥ –دار السلام – ط ٤ – ١٩٦٤-المدينة المنورة.

(٧٠) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٢) والترمذي في سننه (١٩٦٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٧١) رواه البخاري في صحيحه (٢-١٤٢).

(٧٢) أحمد بن قدامة المقدسي – مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٢-دار البيان-دمشق ١٩٧٨م.

(٧٣) سورة البقرة ٢٧٢.

(٧٤) سورة الحديد أية ٧.

(٧٥) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١-٣٠) وذكر في كنز العمال والجوامع للسيوطي (٤٧٨٤).

كان المسلم وسطاً بين التبذير والتقتير محققا أمر الله تعالى حيث قال (ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد معلوما محسورا) (٧٦).

وبذلك يثبت لدينا أن خلق الكرم والجود يرتكز ويعتمد على الوسطية فلقد (فرض الإسلام فرضا إيتاء الزكاة وجعلها ركنا من أركانه الخمسة، وأضحى الكرم واجبا وحقا واجبا على المضيف، وحقا للضيف يأخذه أخذا إذا تقاعس المضيف عن أداءه، وانقبلت الأهداف من وراء الانفاق الخير انقلابا كاملا، فلم يعد الهدف الحفاظ على اسم القبيلة أو شرفها أو علو ذكرها، لقد عرف الأن هدف جديد شامل للعمل الخلقي هو رضا الله والفوز بمثوبته) (٧٧).

من هنا يجب على الإنسان أن يحسن استخلاف الأرض وذلك بالإحسان إلى الخلق .. والانفاق بها يرضي الرب ويحقق الرضي للناس ويكون ممن قال عنهم سبحانه { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } (٧٨).

بهذا التوازن في المعاملات، تتضح أهمية الوسطية كركيزة أساسية في العديد من الأخلاق الإسلامية تطبيقا لشريعة متعادلة على أساس من العقيدة الثابتة المتوازنة التي أساسها منهج الاستقامة والطريق المستقيم فيقول سبحانه وتعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (٧٩).

وبهذا نجد أن الوسطية ملمح أساسي ومنعطف رئيسي في الشريعة الإسلامية لسعادة البشرية.. وأنه لا يمكن إغفال الالتفات اليها والاعتبار بها.. حيث يؤدي بالإنسان للخلق الرفيع وإتباع الفضائل المختلفة... التي تحقق الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

لتيسير مع الزمن وتؤكد عقيدة الدين الإسلامي الوسطية التي تقوم على التوازن والمساواة بين الحقوق والواجبات لكل إنسان مؤمن بالله سبحانه وتعالى.

لقد كانت الوسطية السمحة هي المنهج الذي تقوم عليه الحياة، وهو شرع من لدن حكيم خبير حيث يقول تعالى لرسوله الكريم {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ } (٨٠).

يتضح لنا مما سبق أن الوسطية تشتمل على كل جوانب الدين الإسلامي الحنيف وهي واضحة جلية في شعائره، وعباداته ومعتقداته وآدابه وأخلاقه التي شرعها الله لخلقه، فقد أنزل الله سبحانه وتعالى الدين الإسلامي في الأساس تيسيرا على الخلق حتى يتسنى للمسلم تطبيقه واتباع منهج الله سبحانه والوصول منه إلى الجنة والبعد عن النار رحمة بالخلق وذلك من خلال وسطية سمحه تشع في كل أرجاء ذلك المنهج القرآني فإن الله سبحانه أقرب إلينا من أنفسنا وهو أقرب إلينا من حبل الوريد فمن المستحيل أن يكلفنا بمنهج فوق طاقتنا يحمل في طياته المغالاة أو التطرف، فهو سبحانه وتعالى أرحم من الأم بوليدها وأنزل لنا منهجا يكون معنيا لنا على الحياة وصعابها قريبا من النفس يسيرا في التطبيق وسطيا في كل شيء (فإن الأخلاق في القرآن الكريم

---

(٧٦) سورة الإسراء أية ٢٩.

(٧٧) د/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم / الفضائل الخلقية في الإسلام ص ١٨٧ – القاهرة –دار الوفاء للطباعة والنشر.

(٧٨) سورة الفرقان أية ٦٧.

(٧٩) د/ أحمد عبد الحميد الشاعر – مناهج البحث الخلقي ص ٤٦.

(٨٠) سورة القصص – أية ٧٧.

لم تدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية... روحية أو جسمية، أو دينية، أو دنيوية، أو عقلية، أو عاطفية، أو فردية، أو اجتماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع) [٨١].

وذلك من خلال التوازن الذي ترتكز عليه كل أخلاق الإسلام فتتحقق الوسطية في مختلف جوانب الحياة وتكون كما أراد رب العزة أن تكون { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا }[٨٢].

(٨١) د/ محمد على محمد الصلابي – الوسطية في القرآن الكريم ص ٤٩٤-مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع-ط أولي ٢٠٠٧م – القاهرة .

(٨٢) سورة البقرة أية ١٤٣.

الخاتمة

يتعرض الإسلام في عصرنا الراهن لهجوم شديد فهو بين تيارات زائفة وآراء متعصبة واتهامات باطلة برغم أن الدين في حقيقته بعيد كل البعد عن التشدد والتطرف والمغالاة... وبرغم أن الله سبحانه وتعالى قد أوضح لنا هذا المعنى في كتابه العزيز حين قال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (١٤٣ البقرة) فإن كل جوانب الدين الإسلامي وأركانه تحتويها الوسطية. وكل ركن من الأركان إذا ابتعد عن التوسط والاعتدال كان بعيدا عن حقيقة الدين حيث الدين للدنيا والآخرة معا فمن الصلاة عماد الدين والتي كانت خمسون صلاة مفروضة أصبحت بالوسطية خمس فروض فقط حيث إن الله سبحانه لم يلغها تماما على عاتق بني آدم وكذلك لم يفرضها خمسين ولكنها الوسطية. والركن الثاني في الإسلام الزكاة فرضت بقدر محدد من مال المذكي ولم يفرض على المذكي أن يتزكى بنصف ماله أو أكثر... وكذلك فإن الله لم يمحها من الدين ولكن أبقاها سبحانه حرصا على العلاقة بين المؤمنين وجاء الفرض بنسبة لا تؤثر في مال المزكي بقدر ما يربيها الله عنده وهذا توسط في الأمر.

ولأن الدين ما جاء إلا لإصلاح حال الإنسان وحياته... فإن الله سبحانه لن يبعث للإنسان منهجاً يحمل في طياته المغالاة والتطرف وهو جاء أصلا للتيسر وليس للتعسر.

لذلك نجد الركن الثالث في الدين وهو الصيام فرض شهرا واحدا من اثنى عشر شهرا فلم يفرض سبحانه ستة أشهر على سبيل المثال أو أكثر.. وهذه وسيطة من الآمر سبحانه رحمة بخلقه وكذلك الحج ركن الإسلام الأكبر فرض مرة واحدة في العمر وهذا توسط في الأمر وأيضا لمن استطاع إليه سبيلا....

أما من حيث التشريع فنجد التدرج واضحا جليا في الأوامر والنواهي من جهة والتحريم والتحليل من جهة أخرى حيث مراعاة النفس الإنسانية في تحريم الخمر بتدرج وحكمة وكذلك الربا، فإن سنة التدرج واضحة في كل جوانب المنهج الإسلامي الحنيف ولأن مكارم الأخلاق هي بغية الرسالة المحمدية وهدفها فنجد أن الأخلاق الإسلامية تقوم على الوسطية والاعتدال والذي لمسناه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة وحياته لذلك أضحت الوسطية سبيا يجب أن تحتزيه البشرية لتصل إلى سعادتها الحقيقية.

المراجع

١. صحيح مسلم، باب استجاب العفو والتواضع (٢٥٨٨).
٢. ابن القيم – إغاثة اللهفان ج ٢ – ١٣٧.
٣. ابن القيم / مدراج السالكين ج ١ ص ٧٤.
٤. ابن قدامة المقدسي – منهاج القاصدين – ص ٢٨٨ – دار البيان –دمشق.
٥. ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ص ٢١٦.
٦. أبو بكر الجزائري – منهاج المسلم ص ١٣٥ –دار السلام – ط ٤ – ١٩٦٤-المدينة المنورة.
٧. الغزالي، الإمام أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٠٥هـ)/ مكاشفة القلوب في حضره علام الغيوب – دار الكتب العلمية – ط أولي ١٩٩٦- ص ١٥٥.
٨. أحمد بن قدامة المقدسي – مختصر منهاج القاصدين ص ٢٠٢-دار البيان-دمشق ١٩٧٨م.
٩. أحمد بن قدامة المقدسي – منهاج القاصدين ص ٢٢٨ –دار البيان – بيروت – ١٩٧٨.
١٠. أسماء مصطفي إبراهيم – مبدأ الوسطية في الدين ص ١٢- ٢٠١١- ٢٠١٢ – إشراف د/ سعد فضل الله –ت-جامعة عين شمس.
١١. أبو حيان التوحيدي، الهوامل والشوامل ص ٤٨.
١٢. أبو حيان التوحيدي، الصحاح (٣/ ١١٦٧).
١٣. العلامة/ الصابوني / صفوة التفاسير ج ١ –ص ٢١٨.
١٤. القاموس المحيط باب الطاء / فصل الواو (٨٩٤).
١٥. انجيل لوقا –إصحاح ٦/ ٢٣.
١٦. تفسير أبي السعود ط ١ ص ١٢٣- ط/ صبيح.
١٧. تفسير الفخر الرازي ص ١٠٨-١٠٩.
١٨. حمد عبد الرحمن إبراهيم / الفضائل الخلقية في الإسلام –دار الوفا ط أولي ١٩٨٩م-ص٢٣٥.
١٩. د/ أحمد عبد الحميد الشاعر – مناهج البحث الخلقي ص ٤٦.
٢٠. د/ أحمد عبد الرحمن إبراهيم – الفضائل الخلقية في الإسلام –دار الوفاء – ط أولي ١٩٨٩ ص ٢٣٦.-القاهرة
٢١. د/ سامي عفيفي حجازي/ العقيدة والأخلاق في الإسلام ص ١٨٨ – مكتبة الايمان – القاهرة – ٢٠٠٦م.
٢٢. د/ على محمد الصلابي / الوسطية في القرآن الكريم ص ١٤ – مؤسسة اقرأ –ط أولي – ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٢٣. د/ محمد أبو شهبه –حلول لمشكلة الربا ص ٢٨.
٢٤. د/ محمد بن أحمد بن صالح الصالح / وسطية الإسلام ص ١٦٣.

٢٥. د/ محمد عبد اللطيف الفرفور – دار النفائس بيروت – الوسطية في الإسلام - ط١- ١٩٩٣م- ص ٢٩

٢٦. د/ محمد عبد الله دراز – نظرات في الإسلام ص ١٢.

٢٧. د/ محمد على الصلابي – الوسطية في القرآن الكريم – ص ٣٣٨- ٣٣٩-مؤسسة اقرأ – ط أولي – ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.

٢٨. د/ محمد يوسف موسي / فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلتها بالفلسفة اليونانية ط ٣ ص ٢٧، ٢٨.

٢٩. د/ وفاء سمير على / القيم الأخلاقية ومشكلاتها في الفكر الفلسفي ص ٧٢.

٣٠. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية النميري الحراني الدمشقي/ ولد ١٢٦٣هـ/ مجموع الفتاوى ج ١ - ص ١٥٠.

٣١. لسان العرب – فصل الواو (باب وسط) (٧/ ٤٢٩).

٣٢. محمد على الصلابي – الوسطية في القرآن الكريم ص ١٤- مؤسسة اقرأ طبعة أولي ٢٠٠٧م-القاهرة.

٣٣. مسند الإمام أحمد - سنن البيهقي ج ١٠ – كتاب الشهادات ص ١٩٢.

٣٤. معجم مقايس اللغة – باب الواو- باب (الواو والسين) (٦/ ١٠٨).

Islam in our time is under heavy attack, it is between fake trends, Fanatical views, and false accusation. Although Islam in reality is far from militancy, extremism and exaggeration, despite God has made the meaning clear to us in Quran when said "Thus We have appointed you a middle nation", (Al Baciara143), as all Islam's aspects and elements contain moderation. If anyone of the Elements kept away form mediation and moderation was far from the truth'of the religion as the religion is for life and Hereafter, The prayer - the basis of religion- was imposed fifty times. They have become only five with moderation. God did not completely cancel them and did not impose fifty prayers on people, this is the moderation. The second pillar of Islam, Zakat, was imposed in a certain amount, alms payer was not forced to pay the half of his money-or more. Thus, God did not cancel Zakat from religion, however, the Almighty maintained it to keep the. Relationship between.

Believers. The rate of imposition does not affect the money of alms payer, and this is a moderate matter. Because Islam was only for. the reform of the human condition and life, .God does not send io man, an excessive and extreme approach. Islam is mainly for 'facilitation not for obstruction, so fasting, the third pillar of Islam w-as imposed for one month out of twelve months. Gbd did not impose it six months for instance or more. This moderation as a mercy form God towards his creation.